المحاضرة السادسة

1. علم النفس الاجتماعي في العصر الحديث

ذكرنا أن علم النفس الاجتماعي كان بين أيدي اليونان في العصر القديم ثم صار بين أيدي الإسلاميين في العصور الوسطى، ثم انتقل إلى أوروبا وأمريكا في التاريخ الحديث والمعاصر.

ومن الصعب أن نفصل القول في تاريخ علم النفس الاجتماعي الحديث لأن ذلك يحتاج إلى مئات الصفحات. ولكننا سوف نختار مجموعة من العلماء يمكن اعتبارهم الصف الأول من علماء النفس الاجتماعي الحديث.

فقد جاء بعد افلاطون، أرسطو، وسانت أوجستين وجون لوك (1632-1704)وبنثهام (1748-1832) وغيرهم من الفلاسفة الاجتماعيين ممن اهتموا بمشكلة الفرد والجماعة، حيث يرى هؤلاء أن المغالاة في حقوق الفرد كفرد دون اعتبار لحقول الجماعة تؤدي إلى الفوضى، والمغالاة في حقوق الجماعة كجماعة دون أي اعتبار لحقوق الفرد تؤدي إلى الاستبداد. والموازنة بين حقوق الفرد والجماعة تؤدي إلى الديمقراطية.

أولا- توماس هوبزhobbes (1588-1679)

وفي العصر الحديث أعلن **توماس هوبز** ان الانسان أناني بطبعه مغالي في ايثاره لنفسه وأنه لا صلاح للناس إلا إذا حد المجتمع بنظمه وقوانينه من هذه الانانية وأتاح للأفراد أن يعيشوا متجانسين متعاونين. ويلخص هوبز دوافع السلوك البشري في البحث عن المتعة والابتعاد عن الألم، أي أن الفرد ينزع بسلوكه إلى كل ما يحقق لذه ويعزف عما يؤذيه. **(جابر، 2004، صفحة 26)**

والذي أكد أن الانسان ليس اجتماعيا بطبعه، وانما الانسان بطبيعته أناني، يسعى دوما وابدا لتحقيق مصالحه الذاتية البحتة، واساسا ان الانسان ذئب للإنسان، وان الكل في حرب مع الكل. والى جانب وحشية الانسان يوجد العقل الذي يجعل الناس يبحثون عن وسائل لحفظ حياتهم والتي تكون أجدى من الوسائل التي يستخدمها الفرد، وهذه الوسائل هي السلم الذي ينبغي ان يتنازل كل فرد عن حقه المطلق لسلطة مركزية تجمع بين يديها جميع الحقوق وتعمل لحير الشعب. **(وحيد، 2001، صفحة 20)**

ثانيا- بركلي (1685-1753م)

فقد اكد على غريزة التجمع، وان الأنانية في المجتمع تشبه القوة الطاردة المركزية في علم الطبيعة، في حين يكون حب الاجتماع أشبه ما يكون بقوة الجذب. **(وحيد، 2001، صفحة 20)**

ثالثا-جان جاك روسوRousseau(1712/1778م)

فرنسي - فيلسوف ومنظر اجتماعي عاش حياته متنقلا بين سويسرا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا. أهم كتبه " العقد الاجتماعي " وكتاب " إميل " أو " في التربية " نشرهما عام 1762م.

وقد أثر على التفكير في العلوم الإنسانية بوجه عام، وفي الاجتماع بوجه خاص، وذلك بنظريته في تفسير نشأة الحياة الإنسانية، حيث يرى أن الإنسان كان يعيش حياة الغاب، وكان يرضى حاجاته الطبيعية بصورة عفوية، وكان طيبا بالطبع، ولكن بسبب الظروف الطبيعية القاسية مثل الجدب أو البرد أو القيظ اضطر الأفراد إلى تعاون بعضهم بعضا، لتوفير القوت، وعن طريق هذا التعاون ظهرت اللغة والزراعة والصناعة، وظهر التنافس والشر والعدوان. **(ربيع، 2011، صفحة 39)**، أي أن الانسان بطبيعته خير نقي طاهر طابعه العام نكران الذات ، ولكن الحضارة هي التي افسدته وصبغته بالشر. **(جابر، 2004، صفحة 26)**

وهكذا أصبح الإنسان الطيب بالطبع فاسدا بالاجتماع، ولا صلاح لمفاسد الاجتماع إلا عن طريق تهيئة الفرد بالتربية الصالحة، وهذه التربية الصالحة تتطلب أن يترك الطفل لينشأ في تلقائية، وأن تكون مهمة المربي معاونته في تربية نفسه بنفسه.

وهو كذلك يرى أن أفراد المجتمع يقبلون العيش فيه والانصياع لأوامره والنزول عن رغباتهم الفردية في سبيل أن ثمة عقدا اجتماعيا تتحقق فيه المصلحة العامة للمجتمع، وتتوافر فيه الحماية لأعضائه، وبالتالي أن الفرد يتنازل عن شيء ما مقابل تحقيق شيء آخر أكثر فائدة، وهذا هو أساس قيام الحياة الاجتماعية في نظره. كما يؤكد " **روسو** " أن عاطفة الإنسان الطيب هي المرشد الأمين والكافي لتحقيق السعادة، ويضع " **روسو** " المبدأ الذي يقول " كل ما أحسه شرا فهو شر، الضمير خير الفقهاء " حيث أن العاطفة هي السبيل الأمثل للحكم على الأمور، أما العقل فهو آلة.

ورغم تهافت هذه الآراء لأنها من قبيل التفكير الأرائكي " **اليوتوبي** "، الذي تعوزه الدلائل التجريبية، إلا أن كتابات " **روسو** " أثرت على التفكير الأوروبي تأثيرا كبيرا. والذي يهمنا في هذا المقام أنه لفت الأنظار إلى موضوعات يعالجها علم النفس الاجتماعي الحديث، وأهمية الأساليب التربوية التي تبتعد عن تقييد سلوك الطفل. **(ربيع، 2011، صفحة 39)**

رابعا-هربرت سبنسر Spencer (1820/1903م):

إنجليزي- كان أصلا مهندسا للسكك الحديدية ولكنه اتجه إلى الصحافة والتأليف في مجال الدراسات الاجتماعية. ويعتبر من كبار علماء الاجتماع في العصر "الفكتوري" ويرجع إسهامه في علم النفس الاجتماعي إلى اهتمامه الشديد بالأفكار التطورية سواء على المستوى الحيوي أو الاجتماعي.

ومن أهم الآراء التي توصل إليها خلال دراساته فكرة البقاء للأصلح التي تبناها "دارون" فيما بعد. وقد اعتقد "سبنسر" أن البقاء للأصلح هو قانون يسير حياة أفراد المجتمع، وقد لقيت هذه الفكرة قبولا وحماسة في الأوساط الفكرية في أمريكا لما تدعو إليه فكرة البقاء للأصلح من ليبرالية. **(ربيع، 2011، صفحة 40)**

فنجد أن هربرت سبنسر يبين أن هناك شعوبا اصلح من شعوب أخرى و أقوى منها وهذا يبرر لها استعمار هذه الشعوب. **(جابر، 2004، صفحة 27)**

خامسا- والترباجوت bagehot (1826/1877م)

- إنجليزي -عالم اقتصادي وصحافي، تأثر تأثرا كبيرا بكتاب " **أصل الأنواع**" الذي أصدره **"دارون"** عام 1859 م. الذي عرض فيه "دارون" لنظرية "**النشوء" والارتقاء**. وقد ابتكر نظرية في علم النفس الاجتماعي أشار إليها في كتابه الذي أصدره عام 1869م بعنوان "**الفيزياء والسياسة"**، وهذه النظرية تتناول عملية "التقليد"، حيث يرى "باجوت" أن البشر يميلون إلى تقليد الأقوى، بمعنى أننا نميل-لاشعوريا-إلى تقليد الآخرين فنقول ما يقولون ونفعل ما يفعلون. هذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الأمم فإن الأمم القوية تغلب الأمم الضعيفة، كما أن الأمم الضعيفة المغلوبة تميل إلى تقليد الأمم الغالبة. أما من الناحية التطورية فإن" باجوت" يرى أن التقدم هو زيادة تكيف الإنسان مع البيئة. **(ربيع، 2011، صفحة 40 ،41)**

سادسا- لازاراس وشتاينهال(1824-1903)،(1823-1899)

أصدرا في عام **1860** مجلة تعني بدراسة الجماهير أو علم النفس القومي الذي يهتم بدراسة الطابع القومي للشعوب، وخاصة النواحي المتعلقة باللغة والعادات والتقاليد والآداب ويعد هذان العالمان من المؤسسين الأوائل لعلم النفس الاجتماعي، وقسما ميدان علم النفس الاجتماعي الى ميدانين، أولهما يهتم بدراسة العوامل النفسية والاجتماعية العامة والتي تفسر سلوك الجماعة، وثانيهما يبحث في العوامل التي تفسر سلوك كل نوع من أنواع الجامعات لكن بحوث هؤلاء الالمانيان سرعان ما صارت تتناول أشياء غامضة ومبهمة كالأرواح الشعبية مثلا. **(وحيد، 2001، صفحة 20)**

سابعا-فونت (1832-1921)

وقد أثر هذان الباحثان على فونت الذي يعد الرائد الأول في علم النفس التجريبي، والذي اصدر عشرة مجلدات في علم نفس الجماهير لتفسير العمليات العقلية العليا أو السلوك الإنساني.ولقد نظر" **فونت** "إلى علم النفس الاجتماعي وموضوعاته المختلفة بذات الطريقة التي كان يستخدمها في علم النفس التجريبي. **(وحيد، 2001، صفحة 20)**

ثامنا-جوستاف لي بون le bon(1931/1841م)

فرنسي-كرس حياته لدراسة علم النفس الاجتماعي وترجمت العديد من أعماله إلى اللغة العربية اشتهر بكتابه "**الحشد**" دراسة في العقل الجمعي الذي أصدره عام 1895م.

ومن أهم آراء "لي بون" أن عقلية الجماهير التي تسيطر عليها الانفعالات والعواطف إنما تفرز أفكارها من خلال عدوى الانتقال السريع للشعور من شخص إلى آخر. وهي ظاهرة يصعب تفسيرها وإن كان السبب الرئيسي في حدوثها هو القابلية للإيحاء، كذلك يتميز موقف الحشد بانسياق من الفرد إلى هذا الموقف "**الحشدي**" الذي يتسم بعلامات ثلاث هي الإجماع والانفعالية، واللاعقلانية، وخرج "لي بون" من ذلك بفكرة **العقل الجمعي Group Mind** ويقال أن" فرويد" تأثر بهذه الفكرة تأثرا مذكورا. **(ربيع، 2011، صفحة 41)**، وكذلك أوضح جوستاف ليبون أن أهم القوى التي تساعد على تجانس الجماعات هي الاستهواء والتقليد والمشاركة الوجدانية. **(جابر، 2004، صفحة 26)**

يقول"**لوبون**" ان الجماهير تلعب دورا في الحياة الاجتماعية وكثير من الأمور هي من مخلفات الجماهير التي تمخض عنها التاريخ الاجتماعي. وان الفكر هو ابن الواقع وانه لا يوجد معلقا بين السماء والأرض هو ابن الواقع وتؤدي إليه وضعية معينة.

لوبون أشار أهمية الوضعية الاجتماعية من حيث ان سلوك الفرد يتأثر بها فالإنسان منفردا غيره مجتمعا، وجاء بمفهوم الايحائية من ميدان الأمراض العقلية، وهذا المفهوم يؤكد ان الشخص الذي يتأثر بالإيحاء بسهولة، سيكون سريع الإصابة بالأمراض الهستيرية. جاء بهذا المفهوم ليصف به الجماهير، ثم بلور مفهوم العدوى الاجتماعية، ومن هنا اقحمه في ميدان السلوك الجمعي، إذ قال ان الوضعية الاجتماعية الهائجة إذا عرض لها إنسان فإن الهياج يغلب عليه، ويعديه "**لوبون**" لم يكن دقيقا فيما عناه بالجمهور الأمر الدي افقد الجمهور دقته العلمية في معالجاته، ومع هذا فله الفضل في لفت الانتباه إلى هذه الظاهرة الاجتماعية(**الجماهير**) وهي جزء مهم من اهتمامات علم النفس الاجتماعي.

لوبون اقحم في دراساته دلالات غامضة ومبهمة، وبعضها ليس لها دلالة إلا في الخيال والوهم/ ومن هذه الأمور مفهوم " **العقل الجمعي**" الذي يغلب على الناس نمط سلوكي واحد من المشاعر لأنهم خاضعون اما أسماه بالعقل الجمعي حيث يقول إن العقل الجمعي له مميزاته وخصائصه، وهي ليس مجموع عقول الأفراد إنما هو حقيقة أخرى ناتجة عن العقول الفردية.

لوبون يقول ان الفرد تنطمس قابليته وتغلب عليه بدائيته في السلوك الجمعي أي ينتكس (نكوص) إلى حيوانيته في السلوك الجمعي (جمهور، مظاهرة) وهو يؤدي من الأعمال ما لا يقرها هو نفسه حينما يكون خارج الجمهور أو المظاهرة، ويقول ان الانسان حينما ينتظم في جمهور، فإن شخصيته تتمزق بتأثير الجمهور، ويتصرف على هوى من نزعاته ونزواته، لذلك زعم ان الأفراد الذين يشتركون مع الجماهير يكون من السهل الإيحاء إليهم وهم يتأثرون بالإيحائية البسيطة لأنه تنطمس فيهم قابلية النقد والتروي.

هذه الآراء أثارت لغطا كثيرا ووجهت لها الانتقادات الكثيرة وكان من الرواد الأوائل الذين هاجموها" **هربرت سبنسر**" فزعم ان العقل هو الدماغ فأين (العقول الجماعة). **(وحيد، 2001، صفحة 21، 22)**

تاسعا- جبريل تاردtarde(1843م/1904م)

فرنسي- اهتم بدراسة علم الاجتماع وعلم الجريمة، عمل أستاذا للفلسفة في" كلية فرنسا" وهي واحدة من أرقى المعاهد الفرنسية، وفي **عام1890م** أصدر كتابا بعنوان" **قوانين المحاكمة**". حيث اهتم بدراسة المحاكاة والخيال والمعارضة من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي، على أساس أن هذه العمليات الثلاث هي العمليات الأساسية في التفاعل الاجتماعي الذي عده الظاهرة الاجتماعية الأولوية، كما اعتبر أن المحاكاة هي الواقعة الاجتماعية الأساسية. كذلك ربط بين السلوك الجمعي والتنويم المغناطيسي حيث قال: إن المحاكاة هي شكل من أشكال التجوال النومي.

ومما يجدر ذكره أن" **تارد**" ألف كتابا عام **1898م** بعنوان " **دراسات في علم النفس الاجتماعي**"، ولكنه بالطبع لا يقاس بما يعده جمهرة مؤرخي علم النفس" **الكتاب الأول**" في علم النفس الاجتماعي والذي أصدره" **مكدوجل**" عام **1908م**. **(ربيع، 2011، صفحة 41)**

كان **تارد** حاكما ومن خلال تجربته زعم ان التقليد هو أهم عملية اجتماعية تجرى بين الناس ولا يمكن فهم الحياة الاجتماعية إلا عن طريق عملية التقليد، ألف كتاب " **قوانين التقليد**" وبه بسط رأيه، وبتأكيده على التقليد ظهر مفهوم التفاعل الاجتماعي، لن التقليد ينطوي على مفهوم التفاعل الاجتماعي ضمنيا. **(وحيد، 2001، صفحة 21)**

عاشرا- ماكس فيبر Weber(1920/1864)

ألماني- من علماء الاجتماع، ولكنه اشتهر بدرسات في علم النفس الاجتماعي تتعلق بموضوع الشخصية الجذابة أو الكارزمية Charisma وهو تعبير ذائع الصيت على مستوى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، والكاريزمية هي شعور من الاتباع تجاه القائد بأنه شخص له جاذبية خاصة وقدرة طاغية على التأثير. وكأن القائد هو " **السوبرمان**" حيث يستطيع القائد أن يسيطر على الأتباع من خلال هذا التأثير الانفعالي. إن " **الكارزمية**" سحر غلاب وجاذبية طاغية وهالة تحيط بالقائد تجعل منه شخصا محبوبا ومطاعا وتجعل الأتباع ينخرطون تحت لوائه عن إيمان وعقيدة وحب وولاء وشعور بالاندماج تحت وجه تأثيره الساحر الغلاب. ومن الآثار الجانبية

السيئة" **للكارزمية**" عجز الجماهير من السوقة والعامة والدهماء عن "رؤية " عيوب هذا القائد الكارزمي. **(ربيع، 2011، صفحة 41 ،42)**

احدى عشر- جراهام ولاس wallas (1859/ 1932)

إنجليزي – اهتم بدراسات علم النفس الاجتماعي، حيث صاغ نظرية في الغرائز، كما أصدر عام **1914** م كتابا بعنوان" **المجتمع العظيم**"، وأصدر عام **1921م** كتابا بعنوان" **الميراث الاجتماعي**" وهو متأثرا – شأنه في ذلك شأن معظم مفكري عصره-بالأفكار التطورية.

والفكرة الأساسية في نظريته عن الغرائز تقول: إن الانسان مهيأ من الناحية البيولوجية لكي يعيش في المجتمع بمساعدة الميراث الاجتماعي، كما أن الانسان غير مهيأ من الناحية البيولوجية للعيش في المجتمع دون هذا الميراث، وعلى ذلك فالإنسان من حيث كونه كائنا بيولوجيا أصبح طفيليا Parasitic يعيش على الميراث الاجتماعي، وأضاف أن السلوك الاجتماعي يجب أن يوصف في إطار الميراث الاجتماعي لا أن يوصف في إطار الغريزة. وهو يقصد بالميراث الاجتماعي Social Heritage كل ما يرثه الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه من تقاليد وأعراف وقيم وأساليب سلوكية. **(ربيع، 2011، صفحة 42)**

اثنى عشر-وليم مكدوجل(1871-1938)

وهو **وليم مكدوجل** علم النفس الأنجليزي واسع الشهرة ولد وتعلم في إنجلترا، واهتم بدراسة الطب وعلم الحياة إلى جانب دراسته للأنثروبولوجيا. واتجه إلى تدريس علم النفس في جامعتي "**لندن**"و"**أكسفورد**" منذ عام **1900**، وفي اثناء الحرب الكونية خدم في الجيش البريطاني حيث كان مسؤولا عن حلالات عصاب الحرب. هاجر إلى أمريكا **عام1920** حيث عمل أستاذا بجامعة "**هارفارد** "ثم جامعة "**ديوك**" ويعرف في علم النفس بأنه مؤسس المدرسة القصدية أو الغرضية والتي قدمت الغرائز.

أما اهم كتبه على الاطلاق هو كناب "**علم النفس الاجتماعي**" الذي صدر **عام1908**، ويجمع مؤرخو علم النفس على أنه من أكثر كتب علم النفس شعبية وانتشارا.

واجريت عليه العديد من التنقيحات. ويقال أن هذا الكتاب طبع منه أربع عشرة طبعة منذ صدوره حتى عام **1921م** حيث كان تأثيره طاغيا في ذلك الوقت. **(ربيع، 2011، صفحة 48)**

وقد ركز **وليام مكدوجل** اهتمامه على الفرد، وافترض أن الفرد يأتي منذ الولادة وفيه كل كواد السلوك، وافترض بالفرد منذ الولادة عددا من الغرائز الأمر الذي جعله يعتقد أن كل أنواع النشاط الاجتماعي تصدر عن قوى نفسية دافعة أطلق عليها اسم الغرائز، وهي فطرية، ولكل غريزة انفعال خاص بها، وبعبارة أخرى أن **ماكدوجل** أكد أن الغرائز هي الدوافع الأساسية للسلوك، وبدون هذه الدوافع لا يكون الفرد قادرا على أن يبدي أي شيء في الحياة. إن هذا المعالجة أول ما ظهرت لاقت رواجا منقطع النظير في العالم الغربي، وشاع هذا المذهب حتى بين الفلاسفة خلال العقد الثاني من القرن العشرين. **(وحيد، 2001، صفحة 23)**

ثلاثة عشر-فردريك بارتليت Bartlett (1886/1979م)

إنجليزي-عمل أستاذ بجامعة " كمبردج " منذ **1922** حتى اعتزاله في عام **1952م**. وقد أصر هذا العالم على ألا ينتمي إلى مدرسة معينة أو اتجاه معين، وكان يقول عن نفسه: " إنه دارس لعلم النفس في "**كمبردج** " ويعده بعض المؤرخين في أهم شخصيات علم النفس الإنجليزي في النصف الأول من القرن العشرين.

ومن الأمور التي ركز عليها " **بارتلت** " دراسة العمليات العقلية، وأثر العوامل الاجتماعية في هذه العمليات، ومن أهم كتبه التذكر: دراسة في علم النفس التجريبي والاجتماعي أصدره عام **1932م**، وكتاب التفكير: دراسة اجتماعية تجريبية أصدره عام **1958م**.

وبالنسبة للعوامل الاجتماعية النفسية المؤثرة في التذكر أشار "**بارتلت**" إلى أن التذكر هو عملية تتضمن إعادة البناء، والدليل على ذلك أن ما يحدث أثناء عملية التذكر يتضمن اتجاهات الشخص نحو المادة موضوع التذكر، أي أن الخبرة التذكرية تتأثر بعوامل نفسية اجتماعية مثل الخبرة الثقافية للفرد واهتماماته الاجتماعية وانفعاليته العامة.

وبالنسبة لعملية التفكير فإنه يرى أن التفكير هو أساسا عملية لها خلفية اجتماعية، ولا يمكن له أن يستمر دون وجود مثيرات في المحيط الخارجي.

وقد لقى "**بارتلت**" العديد من مظاهر التكريم منها على سبيل شهادات فخرية من عديد من جامعات العالم مثل جامعة "أثينا" وجامعة" **أدنبرة**" وجامعة "لندن "وجامعة "**إكسفورد**" ويقال أنه قدم لبلاده أجل خدمات إذ حول اهتماماته العلمية إلى خدمة المجهود الحربي أثناء الحرب الكونية الثانية. **(ربيع، 2011، صفحة 42، 43)**

رابع عشر-فلويد ألبورتFloyed ، Allport (1978/1890)

أمريكي-**ولد فلويد ألبورت** في إحدى مدن ولاية "وسكونسن" وحصل على الماجستير من جامعة هارفارد عام **1914م** وقطع دراسته فترة قصيرة، حيث خدم في صفوف القوات المسلحة الأمريكية إبان الحرب الكونية الأولى ثم عاد إلى جامعة "**هارفارد**" ليحصل على الدكتوراه عام **1919م**.

ومن أهم إسهاماته إصداره عام **1949م** كتابه الكلاسيكي الذائع الصيت "**علم النفس الاجتماعي**". ويغلب على هذا الكتاب المسحة السلوكية التي سادت علم النفس الأمريكي في النصف الأول من القرن العشرين. وقد تأثر" **فلويد ألبورت**" بعالم النفس الألماني الأصل الأمريكي الإقامة "**هجو منستر برج**" تأثرا كبيرا. وقد عمل بجامعة هارفارد ثم جامعة "**كارولينا الشمالية** " ولكن الشطر الأكبر من حياته العلمية قضاه في جامعة "**سيرا كوز**" في المدة من **1924م** حتى اعتزاله **1957م**. **(ربيع، 2011، صفحة 43)**

فلويد البرت أكد إن في الكائن الانسان توجد كل حوافز ومحركات السلوك الضرورية لتفسير كل ما يقوم به سواء سلوك فردي أم جمعي منذ الولادة، وإن هذا السلوك ما هو إلا وسيلة لهذه الحوافز والحاجات البيولوجية عند الانسان، وسماها بدلا من الغرائز بالحوافز الفعالة وهذه تتطور وتتبدل بتأثير التفاعل الاجتماعي. ولخص آراءه في كتاب بعنوان "**السلوك المؤسس**" الذي ظهر **عام 1924**.، وكان "**البرت**" يدعو إلى فكرة جديدة فحواها أن علم النفس الاجتماعي لا يمكن أن يعالج إلا على أساس علم النفس، لأن الاجتماعي إنما يدرس سلوك الإنسان تجاه ذلك الجزء من المحيط الذي يتكون من أناس آخرين، وانتقد فرضيات ومفاهيم كثيرة تدور، منها فرضية " **العقل الجمعي**" الذي أفرغه "**دور كهايم**" في مضمون الحضارة وأسبغت خصائصه على الحضارة على أنها تتحكم في الأشخاص. **(وحيد، 2001، صفحة 26)**

2. علم النفس الاجتماعي في العصر المعاصر:

أولا- جارد نر مورفي Murphy (1895م/1979م)

أمريكي-من مؤسسي علم النفس الاجتماعي، حصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا الأمريكية عام **1923م** وبقي في جامعة كولومبيا معظم حياته العلمية حتى **1940م** ثم انتقل إلى كلية "**نيويورك**" وبقي فيها حتى عام **1950م** وأثناء عمله بجامعة "**كولومبيا**" حصل على مهمة عملية في جامعة "**هارفارد**" في المدة من **1922م** إلى **1925م**.

ويعزى إلى "**مورفي**" أنه خلال العشرينات من هذا القرن قام بتدريس مقرر تخصصي تحت عنوان "تاريخ علم النفس الحديث"، وكانت مادة هذا المقرر كتابه الكلاسيكي الذي أصدر طبعته الأولى عام **1929م** بعنوان "**مقدمة تاريخية لعلم النفس الحديث**" وهو الكتاب الثالث في هذا الموضوع (مما يذكر أن الكتاب الأول هو كتاب" **تاريخ علم النفس**" أصدره "**برت**" أستاذ الفلسفة بجامعة "**تورنتو**" عام **1921م**، وبعده بشهور صدر كتاب "**بورنج**" "**تاريخ علم النفس التجريبي**" في طبعته الأولى)

وقد اهتم "**مورفي**"- إلى جانب اهتماماته العديدة- بدراسة موضوعات تتناول العلاقة بين الدوافع والحاجات النفسية للفرد والعمليات الإدراكية، حيث كان الاهتمام منصرفا إلى دراسة العمليات الإدراكية من وجهة نظر علم النفس التجريبي فقط دون الالتفات إلى الاعتبارات الدافعية، ومن دراسته الشهيرة أيضا دراسته على أثر الاتجاهات على التذكر، وذلك بأن قاس عملية التذكر عند مجموعتين المجموعة الأولى من أفراد يكرهون الروس والمجموعة الثانية من أفراد يحبون الروس، وعرض على المجموعتين "مادة" تتضمن عبارات بعضها يقدح الروس والبعض الآخر من العبارات يمدح الروس، وتبين أن المجموعة الأولى الكارهة للروس كانت تتذكر العبارات " القادحة" أكثر. أي أن كل مجموعة تتذكر ما يتفق مع اتجاهاتها، وقد عرض دراسته في كتابه الشهير الذي صدر عام **1937م** بعنوان" علم النفس الاجتماعي التجريبي".

ويقال أنه كان محاضرا متميزا يخلب ألباب المستمعين شأنه في ذلك شأن رجالات علم النفس العظام، وتخرج على يديه علماء كبار مثل" **ليكرت "و" نيموكمب" و"مظفر شريف"**. **(ربيع، 2011، صفحة 43 ،44)**

ثانيا- مظفر شريف Sherif (1906/1988م)

تركي- وهو **مظفر شريف بازغلو**- تركي الأصل أمريكي بالتجنس. سافر إلى أمريكا عام **1929م** بعد حصوله على درجة الماجستير من جامعة "**استانبول**" ثم حصل على الماجستير مرة ثانية من "**هارفارد" عام 1932م** حيث سافر إلى ألمانيا للدراسة على يد عالم النفس الألماني الشهير "**كهلر**" ولكن حاق اضطهاد النازي برجالات العلم مما دفعه للعودة إلى أمريكا حيث استقر في جامعة "كولومبيا" ليدرس على يد "**جاردنز مورفي**".

وحصل على الدكتوراه عام **1935م** وكان موضوع الرسالة "**سيكولوجية المعايير**" وأصبحت هذه الرسالة فور نشرها عام 1936م "تحفة نادرة" من تحف علم النفس الاجتماعي.

وعندما عاد إلى وطنه الأم "تركيا" لقي هناك-من أسف- شديدا بسبب انتقاده للنازي (لاحظ أيها القارئ الكريم أن "تركيا" كانت حليفة ألمانيا النازية إبان الحرب الكونية الثانية)، وقد قضى هذا العالم الفذ عدة شهور من عام **1944** في السجن (وابؤساه).ولكن عارفي فضله من اركان علم النفس الأمريكي وعر رأسهم " جاردلز مورفي) جعلوا السلطات في الولايات الامريكية تمارس ضغطا شديدا على الحكومة التركية ليخرج **مظفر شريف** من السجن ويعود لأمريكا.

وخلال حياته العلمية العريضة عمل في العديد من المراكز العلمية والجامعات العريقة، ولقي الكثير من مظاهر التكريم مما هو أهل له، أما أعماله العلمية فهي غزيرة وتزيد على ثمانين عملا في مجالات علم النفس الاجتماعي.

ومن تجاربه المأثورة والتي تدأب على ذكرها مراجع علم النفس الاجتماعي –تلك التجربة التي أجريت بغرض معرفة أثر الضغوط الاجتماعية على الادراك، وبيان هذه التجربة أن نقطة ضوئية صغيرة ثابتة في حجرة مظلمة تماما فإنه بعد التحديق فيها لعدة دقائق يبدو للناظر أنها تتحرك – وهذا بالطبع من قبيل الخداعات الادراكية المعروفة في علم النفس التجريبي باسم الحركة الظاهرية. وطبقت التجربة على مرحلتين مرحلة التطبيق الفردي كانت تقديرات الأفراد لمدى حركة النقطة الضوئية متفاوتة فيما بينهم إلى حد كبير (نكرر أنه لا توجد حركة ولكن خداع بصري) أما في حالة التطبيق الجمعي فأنه حدث نقارب في التقديرات نفس الأفراد لمدى حركة النقطة الضوئية لأن هؤلاء الأفراد عدلوا تقديراتهم بسبب تأثرهم بأحكام الآخرين. وهذه التجربة الكلاسيكية تبين أثر العوامل أو الضغوط الاجتماعية على عملية الادراك. **(ربيع، 2011، صفحة 44 ،45)**

ثالثا- سليمان آش Asch(1907/.....)

أمريكي-حصل "**آش**" على الدكتوراه من جامعة" **كولومبيا" عام 1932م**. وهو يمثل أصدق تمثيل تأثير مدرسة" **الجشطت**" الألمانية على دراسات علم النفس الاجتماعي. ودراساته عن دور العوامل الاجتماعية في التأثير على العملية الإدراكية تؤكد على خصوبة الأفكار الجشطلتية وقدرتها على التأثير في دراسات علم النفس الاجتماعي التجريبي.

وفي منتصف القرن العشرين صمم **آش** تجارب عن أثر إجماع الأغلبية على استقلال رأي الفرد(أصبحت هذه التجارب فيما بعد وحتى الآن من كلاسيكيات علم النفس الاجتماعي) ومن تلك التجارب تجربة بسيطة تقوم على التمييز البصري للأطوال، وقامت التجربة على مجموعات من الأفراد تتراوح أعدادهم من 7-9 أفراد يؤدون تجربة بسيطة في تمييز الأطوال، حيث طلب من هؤلاء الأفراد مقارنة طول أحد الخطوط بأطوال ثلاثة خطوط أخرى معطاة وأحد هذه الخطوط الثلاثة مساو بالضبط للخط الأصلي والخطان الآخران يختلفان اختلافا واضحا عن الخط الأصلي.

وكانت التجربة من قبيل التجارب الخداعية حيث إن هؤلاء الأفراد تقابلوا جميعا مع المشرف على التجربة وطلب منهم الأدلاء باستدلالات خطأ واجماعية في عملية مقارنة الأطوال ما عدا شخص واحد هو محل التجربة الذي لا يدري عن هذه الترتيبات ولا يعرف أنه مستهدف بعملية الخداع. وتجرى تجربة تمييز الأطوال ويبدي هؤلاء الأفراد أحكاما خطأ في عملية تمييز الأطوال بحيث يشعر الشخص محل التجربة أن ثمة تضاربا بين تقديرات هؤلاء الأفراد وبين ما يراه بعيني راسه، والطريف في الأمر أن الشخص محل التجربة تأثر في بعض أحكامه بتقديرات هؤلاء بحيث "كذب "مشاهداته الحسية، وذلك بسبب العوامل الاجتماعية المحيطة به والتي تمثل رأي أغلبية تبدي أحكاما خطأ. مما يدل على أن رأي الأغلبية يؤثر على رأي الفرد حتى في أمور حسية ملموسة. **(ربيع، 2011، صفحة 45 ،46)**

خامسا-فيليب زمباردو Zimbardo(1933/.....)

امريكي –حصل على الدكتوراه من جامعة "**بيل**" الأمريكية عام **1959** عمل في جامعة نيويورك ثم استقر منذ عام **1968** أستاذا ضليعا في جامعة "ستانفورد" العريقة وله تجربة تعتبر من التجارب الكلاسيكية في علم النفس الاجتماعي.

أجريت التجربة لدراسة أثر السجن على الحالة النفسية للنزلاء. وكان السجن الذي أجريت فيه هذه التجربة عبارة عن قبو بقسم علم النفس بجامعة ستانفورد الامريكية حيث تمت تهيئة القبو ليكون أشبه بالسجن.

إذ قسم القبو إلى زنزانات مزودة بالقضبان الحديدية وزودت الزنزانات بكاميرات المراقبة وأعلن عن طلب "متطوعين" في تجربة لدراسة الأثر النفسي للإقامة بالسجن. بحيث يتقاضى المتطوع مكافأة قيمتها 15دولار في اليوم (أجريت التجربة عام 1971وكان المبلغ في ذلك الوقت له قيمة كبيرة).

وقد تقدم للمتطوع **75 طالبا** من طلاب الجامعة طبقت عليهم مجموعة من الاختبارات النفسية المتعمقة بهدف استبعاد المشتبه في كونهم مضطربين انفعاليا، وبعد عملية الغربلة هذه أصبح عدد المتطوعين المقبولين في التجربة **20 طالبا**. وقد قسم هؤلاء عشوائيا إلى مجموعتين. المجموعة الأولى مكونة من عشرة طلاب اعتبروا بمثابة حراس السجن. أما العشرة الآخرون فقد اعتبروا نزلاء السجن. ولم تعط أي مجموعة تعليمات معينة للتصرف سواء بالحزم أو اللين. وكان يدفع للجميع الحراس والنزلاء نفس المكافئة وهي **15 دولار** يوميا. وكان تصميم التجربة أن تستمر أسبوعين. وفي اليوم الأول تم القبض على المتطوعين نزلاء السجن وذلك بمساعدة ضباط الشرطة المحليين (أي ضباط الشرطة الحقيقيون من أقسام الشرطة المختصة) ومن ثم تسليمهم إلى سجن التجربة في قبو قسم علم النفس بجامعة "**ستان فورد**" حيث تم تسجيل أسمائهم والبيانات الضرورية عنهم، حيث تسلم كل منهم الزي الموحد الخاص بالسجن والمتطلبات الشخصية مثل فوطة، صابون، معجون أسنان...إلخ وأودعوا الزنزانات الثلاث التي قسم السجن إليها. وقام حراس السجن بمراقبتهم وارتدا هؤلاء الحراس الزي الخاص مزودين بالصفارات.

وقد توقع "**زيمبارردو**" ومعاونوه من المشرفين على التجربة فشلها وكان تخوفهم أن المتطوعين قد لا يتقمصون الأدوار التي حددت لهم – أو بمعنى آخر أن تعوزهم الانغماسية، ولكن الذي حدث أن الجميع شاركوا في التجربة غير متوقع -وقد استمتع حراس السجن بدورهم وابتهجوا به، ومارسوا رقابة صارمة على نزلاء السجن وعملوا على زجرهم تأنيبهم وغالوا في ذلك بحيث أصيب نزلاء السجن بالتوتر والإحباط من جراء الممارسات السادية للحراس. وأبدى نزلاء السجن التذمر بسبب هذه الممارسات ولكن سرعان ما كفوا عن التذمر أو الشكوى. وأصبح حديث "**نزلاء السجن**" يدور في غالبيته العظمى عن الأحوال " **داخل السجن**" ونادرا ما تناولت أحاديثهم موضوعات أخرى بحيث أصبحوا كأنهم سجناء حقيقيين وليسوا طلاب في الجامعة تجرى عليهم تجربة علمية تطوعوا باختيارهم للمشاركة فيها.

ومن الطريف أن نذكر أنهم في ثالث يوم من التجربة اضطر القائمون عليها إلى اخراج أحد المتطوعين من "نزلاء السجن " بسبب معاناته الشديدة من الاكتئاب واختلال التفكير والانقلاب الانفعالي، وفي اليومين الرابع والخامس اخرج أربعة نزلاء السجن بسبب ما بدا عليهم من اعراض الانهيار النفسي، وفي اليوم السادس حيث

بقى من نزلاء السجن خمسة فقط كانوا جميعا على شفير الانهيار حيث اقتنع القائمون على التجربة بأنه قد حان الحين لإنهائها لأن التجربة في نظرهم حققت الهدف المقصود منها.

وهذه التجربة كانت فتحا للاهتمام بموضوع الآثار النفسية للإقامة بالسجون (لمزيد من المعلومات عن الموضوع يمكن للقارء الكريم الرجوع إلى كتاب علم النفس الجنائي لمحمد شحاته ربيع). (**ربيع، 2011، صفحة 46، 47، 48**)